سياسة ألمانيا النازية تجاه اليهود والصهيونية

نظام العباسي*

الملخـــص :

على الرغم من وجود اللاسامية في أوربا قبل قيام الحركة النازية بفترة طويلة ، إلا أن اتخاذها صيغة متطرفة منذ عام ١٩٣٣ في ألمانيا ، يحتم على الباحثين محاولة فحص أسباب ذلك . ولقد حاولت هذه الدراسة معالجة الأسباب التي حدت بالحكومة الألمانية تحت قيادة النازي للاقدام على اضطهاد اليهود هناك ـــ من وجهة نظر الحركة النازية ، ثم إلى أي مدى طبقت الأيدولوجيا النازية شعاراتها اللاسامية على الساميين .

وبما أن العرب ساميون أيضا ، لذا كان لا بد من أن يعامل نازيو ألمانيا العرب واليهود على قدم المساواة في الاضطهاد ، فما هي الأسباب التي حالت دون ذلك ، وجعلت الحركة النازية الألمانية تتحالف مع الحركة الصهيونية ، بينما تضطهد اليهود ، وإلى أي مدى وصلت أبعاد ذلك التحالف ، ثم موقف الحركة الوطنية الفلسطينية التي بلغت أوجها خلال الثلاثينات من تباين معاملة النازي لليهود والصهاينة وأثر ذلك على مستقبل نضالهم .

لقد اعتمدت هذه الدراسة بشكل أساسي على الوثائق الألمانية الموزعة في كوبلنز ، وبون وفرايبورغ ثم بعض المصادر الألمانية التي أجيز جزء منها من قبل رقابة مطبوعات الحزب النازي ، إضافة إلى بعض المصادر باللغتين العربية والإنجليزية .

من المعروف لدى الجميع أن الحركة النازية نالت بالاضطهاد الغالبية الساحقة من يهود ألمانيا قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، أما بعد اندلاعها فقد طالت بالاضطهاد يهود أوروبا بشرقها وغربها ، بالقدر الذي وصلت إليه القوات الألمانية في تقدمها على ساحة الحرب الأوروبية . ولذا سنتطرق في هذا البحث إلى الأسباب التي حدت بالحكومة الألمانية تحت قيادة النازي إلى الاقدام على اضطهاد اليهود ـــ حسب وجهة نظر النازي ـــ ، ثم ردة فعل اليهود على هذه المعاملة ، والتي انقسم اليهود خلالها إلى قسمين : الصهاينة ، واليهود غير الصهاينة .

يعترف نازيو ألمانيا بأن الاضطهاد العرقي لليهود ، الذي يعبر عنه عادة بكلمة اللاسامية ، لم يكن موجودا في ألمانيا فحسب ، بل بكل أرجاء العالم . أما اتخاذه صيغة متطرفة في ألمانيا فيعود ، حسب رأيهم ، إلى مجموعة من العوامل ذات العلاقة بخاصية سلوك اليهود عبر التاريخ ، الذي ميزهم بالتالي عن المجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها ، فناصبتهم العداء .

وتعود أصول السلوكية اليهودية عبر التاريخ إلى كتابهم التلمود ، الذي لا يعتبر بالنسبة لهم كتابا دينيا فقط ، بل « قانونا الهيا » حدد أفق التفكير عند اليهود ، عن طريق تحديد سلوكهم في التعامل مع الآخرين ـــ أي غير اليهود ـــ اعتبر اليهود ، كعرق ، متميزين عنهم .

ويضرب يوهانس ايقوست J. Öhquist صاحب كتاب « رايخ الزعيم » مثالا على هذه الخاصية اليهودية عبر التاريخ باعتراف اليهودي الدكتور أدوارد غانس Eduard Ganz ، الأستاذ في جامعة برلين حين يقول معلقا على محاولات الدمج اليهودية مع الشعوب الأوروبية : « لا التعميد ولا الحملات الصليبية تفيد شيئاً . سنبقى وبعد مئات الأجيال يهودا نشبه أولئك اليهود الذين عاشوا قبل ثلاثة آلاف عام . إننا لا نفقد رائحة عرقنا . وعلى الرغم من اختلاطنا وتزاوجنا مع الأجناس البشرية الأخرى فسيبقى عرقنا مسيطرا » . (Öhquist, 1941: 127) .

أما لماذا اتخذت ألمانيا موقفا عدائيا متطرفا في معاملتها لليهود ، فيبرر الألمان ذلك عن طريق عرقي : يدعون أن الحركة الصهيونية تعترف بهذا الأمر وبالتالي ، فصراعهم مع اليهود هو صراع عرقي قبل كل شيء . ومما يؤكد ذلك ، وجود صراع بين اليهود لحل المسألة اليهودية بين يهود ألمانيا بشكل خاص والعالم بشكل عام . ويقسم النازيون الاتجاهات اليهودية التي حاولت حل المشكلة اليهودية إلى قسمين :

الصهاينة الذين يؤمنون بخاصية اليهود العرقية ؛ وأولئك الداعون إلى انصهار اليهود بين المجتمعات الأوروبية كطريق أمثل لحل المسألة اليهودية ، وهم يشكلون ، بالتالي ، نقيضا أساسيا للصهاينة .

يعتبر الصهاينة أن إعطاءهم حقوق المواطنة داخل المجتمعات الأوروبية ، لا يحل المسألة اليهودية ، ولذا يريدون دولة قومية خاصة بهم داخل المجتمع العالمي عن طريق الاستيطان في فلسطين . (Öhquist, 1941: 128) ويمثل هرتزل المجموعة الأولى ، وبعد موته ، لمع في ألمانيا مارتين بوبر Martin Buber .

ويمثل المجموعة الثانية فالترراتناو W. Rathenau والكثير من المثقفين اليهود في ألمانيا .
واضح إذن مما سبق أن المؤرخين النازيين اعتبروا العنصرية الصهيونية ليست سوى تأكيد واضح على خاصية العرق اليهودي ، مما يؤكد على أن صراعهم مع اليهود هو بالأساس صراع عرقي .

وليس بالغريب أيضا أن يعتبر هتلر صراعه مع اليهود ليس صراعا سياسيا بل عرقيا ناتجا عن صراع « الطبيعة ذات القوانين الدائمة الصيرورة » . ومن هنا يتضح أن هتلر ينهل من النظرية العرقية الداروينية صاحبة الفرضية المعروفة بالصراع من أجل الحياة ، والتي لا مكان فيها للضعفاء ، بل للأقوياء المنتصرين فقط . (Zenter, 1977: 1) .

فالعرق الجرماني ، ذلك الجنس الخلاق المبدع لم يعمل اليهود على افساده عن طريق التزاوج فحسب ، وإنما عن طريق السيطرة على مستقبله السياسي والحياتي أيضا . ويثبت الدعاه النازيون هذه الفرضية بالأرقام : فحسب إحصائية عام ١٩٢٥ تبين أن عدد يهود ألمانيا بلغ ٥٤٦٫٣٧٩ نسمة عاشوا بين مجموع سكان ألمانيا البالغ عددهم آنذاك ٦٢٫٥ مليون نسمة ، وبذلك كانت نسبتهم ٠٫٩ ٪ بالنسبة لعدد سكان ألمانيا .

أما من حيث المهنة فقد انحدر ٥٨٪ من أصحاب الحانات والملاهي وما يتبعها في ألمانيا من اليهود .
وفي عام ١٩٣٣ أجريت احصائية في مدينة برلين حول المهن التي عمل بها اليهود مقارنة مع سكان برلين من غير اليهود ثبت خلالها أن نسبة عدد اليهود بين :

الأطباء (طب بشري)	٤٢ ٪
أطباء الأسنان	٣٥ ٪
صيادلة وصيدلانيات	٢٨ ٪
محامين وحكام في المحاكم	٤٨ ٪
محامين محلفين	٥٦ ٪
رؤساء مستشفيات	٤٥ ٪

وفي قسم الحقوق التابع لجامعة برلين كان يوجد ٤٤ أستاذا من بينهم ١٥ أستاذا يهوديا ــ أي ما نسبته ٣٤٪ ــ . (Öhquist, 1941: 133-135) .

إذن من الواضح أن اليهود كانوا في موقع متميز خاصة فيما يتعلق بالقانون ، الذي هو أساس الحكم . وقد اتهم اليهود أيضا بالارتشاء ، إضافة إلى موقعهم المتميز في السيطرة على الصحافة الألمانية وبالتالي إمكاناتهم الكبيرة في توجيه الرأي العام[١] .

وقد اعتبر قادة الأيديولوجية النازية أن البلشفية من عمل اليهود . ومن هنا كان عداؤهم للبلاشفة أيضا مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدائهم لليهود ، فلا غرو إذن ، إذا اعتبر هتلر : أن تحطيم العنصر اليهودي

هو الأساس من أجل إنهاء سيطرة هؤلاء المنحطين Minderwertigen . ولذا كان عليه من أجل تجنيب العالم خطرهم ، تعريف هذا العالم بهم ، وبذلك رأى هتلر رسالته التاريخية للعالم حين قال : « في الوقت الذي أحارب فيه اليهودي فإنني أكافح في سبيل الاله » (Zenter, 1977: 1) .

فلا غرو والحالة هذه أن يبدأ هتلر حاكم ألمانيا بمحاربة اليهود ، وسن مجموعة من القوانين في مطلع حكمه حدت من حرية حركة اليهود ــ وحرية تعامل الشعب معهم ، وانتهت بزج أعداد كبيرة منهم في معسكرات الاعتقال .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل وقف اليهود مكتوفي الأيدي أمام هذا التطور الذي يهدد حياتهم ؟

انقسمت ردة الفعل اليهودي على هذه الاجراءات النازية إلى قسمين :

الأول : تمثله التجمعات اليهودية غير الصهيونية ، أو التي سماها النازيون بتلك المجموعات التي نادت بالانصهار ، ورأت ، عن طريق مجموع الرسائل التي أرسلوها لرئيس الجمهورية الألمانية بأن المشكلة اليهودية ناتجة عن رفض اليهود الاندماج في المجتمعات التي عاشوا فيما بينها(٢) .

الثاني : تمثله الحركة الصهيونية ، التي نادت أصلا بعدم الانصهار واستغلت مطاردة هتلر لليهود لتجبرهم على الهجرة إلى فلسطين . وعملت كذلك ، في الوقت نفسه ، على التنسيق مع قادة ألمانيا النازية في هذا المجال .

إذن تحددت منذ البداية العلاقات الصهيونية النازية من خلال عدة أطر أهمها :

موقف الحركة الصهيونية من ملاحقة النازي لليهود (بالطبع غير الصهاينة) ، ثم تهجيرهم إلى فلسطين .

فقبل ثمانية أشهر فقط من استلام النازي لزمام الأمور في ألمانيا تظاهر بضع مئات من النازيين مطالبين بإخراج اليهود من ألمانيا ، فقابلتهم مظاهرة صهيونية مطالبة بتهجيرهم إلى فلسطين (Yahya, 1978: 16) .

فإذا كان هذا الانسجام المبدئي على مستقبل اليهود موجودا قبل تسلم هتلر مقاليد السلطة ، في ٣٠ كانون الثاني عام ١٩٣٣ ، بين الحركة الصهيونية والحركة النازية ، فلا شك بأنه سيتخذ طابعا رسميا بعد هذا التاريخ .

في السنوات الأولى من حكم النازي لألمانيا ، اعتبر السماح بالتعامل مع اليهود أو عدمه من اختصاص السياسة الداخلية لحكومة الرايخ الألماني التي رفعت شعارها المعروف : « تحرير ألمانيا من اليهود » . هذا الشعار النظري طبق على الساحة العملية من خلال مجموع القوانين التي سنت للتضييق على مسار حياتهم اليومية ، في حين سمحوا ، بل ودعموا الحركة الصهيونية لتنشط بين يهود

ألمانيا من أجل تحقيق إنهاء وجودهم فيها .

فابتداء من ١٩٣٣/٤/١ اتخذت الخطوات الأولى بإعلان المقاطعة الرسمية لليهود تحت شعارات متعددة منها : « يوم تصفية الحساب مع اليهود لن ينتظر طويلا » (Goldmann: 98) ، « لن يشتري الألماني شيئا من الحوانيت اليهودية بعد اليوم »[٣] .

قاد هذا الوضع ، ومنذ البداية بالطبع ، إلى خوف اليهود على مستقبل حياتهم ، فبدأوا يستعدون للهجرة من ألمانيا . وسارعت الحركة الصهيونية ، في هذا الوقت ، إلى تكثيف الاتصالات بأركان الحكومة النازية وتوجتها بعقد اتفاقية الهافارا[٤] أي الترانزيت ، والتي سهلت هجرة اليهود إلى فلسطين عن طريق احتفاظهم بقيمة ممتلكاتهم في ألمانيا ، بعكس أولئك اليهود الذين رغبوا بالهجرة إلى مناطق أخرى في هذا العالم غير فلسطين .

أما في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٣٥ فقد قام الحزب النازي بخطوة جديدة للتضييق على حياة اليهود وسن مجموعة من القوانين عرفت باسم « قوانين نورمبيرغ » Nürenberger Gesetze[٥] التي وصفها أحد الباحثين بقوله : « تعبّر هذه القوانين عن خلق ذي وجهين : فقد وجد قانون حقوق المواطنة في الرايخ الألماني ، وحدد الفروق بين مواطني الرايخ من اليهود الألمان وأقاربهم ، وبين مواطني الدولة الألمانية من الألمان الأنقياء[٦] . واعتبر اليهود نتيجة لهذه القوانين مواطنين من الدرجة الدنيا ــ وتابعين فقط للدولة الألمانية ، وليس لهم الحق بأن يعتبروا الوطن الألماني وطنا لهم ، إضافة إلى إدخال ما دعي « قانون حماية نقاء الدم والشرف الألماني » وحرم الاتصال الجنسي والتزاوج مع اليهود (Reitlinger, 1939-1945: 12) .

وبفعل هذه القوانين استطاع النازيون إتمام الحصار على اليهود في ألمانيا ، مما اضطرهم للهجرة ــ ونتيجة لنشاط الحركة الصهيونية ، فقد هاجر من اليهود الألمان إلى فلسطين في أعوام ١٩٣١ــ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ حوالي مائة ألف يهودي ألماني ، منهم ١٠ آلاف مهاجر في عام ١٩٣١ ، ٣٠ ألف عام ١٩٣٣ و ٦٠ ألف في عام ١٩٣٥ (Al-Abbasi, 1979: 16) .

ولا بد هنا من ملاحظة أن قوانين القمع الألمانية ضد اليهود في ألمانيا كانت السبب الأساسي ، إن م يكن الوحيد ، الذي ضاعف هذه الأعداد من المهاجرين اليهود إلى فلسطين . وليس هناك أدنى شك ، في أن الحركة الصهيونية التي استقطبت هذه الأعداد من المهاجرين بعد أن مهدت لذلك مع النازي من خلال معاهدة الهافار ، قد استفادت من المطاردة الألمانية هذه ، وبالتالي جاءت متوافقة عقائديا في هدفها مع الهدف النازي : فحين نادى النازيون بتحرير ألمانيا من اليهود ، أكمل الصهاينة ذلك النداء بشعار : « عن طريق تهجيرهم إلى فلسطين » .

ولا يفوتنا هنا إبداء ملاحظة أن الأعداد الهائلة من هؤلاء اليهود الألمان المهاجرين إلى فلسطين نتيجة لملاحقة النازي ، كانت غالبيتهم الساحقة من المثقفين والعمال المهرة وأصحاب رؤوس الأموال

جاءوا إلى بلد متخلف وفقير الامكانات الاقتصادية . ومن هنا لم تكسب الحركة الصهيونية بهجرتهم إلى فلسطين أعدادا بشرية فقط ، بل نوعيا أيضا ، فاتحين بذلك باب منافسة غير متكافئة مع عرب فلسطين .

قاد هذا التوافق العقائدي بين الحركتين النازية والصهيونية في مجال « التصرف » بمصير يهود ألمانيا عنوة من أجل تهجيرهم إلى فلسطين إلى عمل ملموس ومشترك ضد كل المنظمات والجمعيات اليهودية غير الصهيونية ، فقد لاحقهم نازيو ألمانيا ، فاعتقلوا ونفوا ، بل وقتلوا من قتلوا منهم . مقابل ذلك سمح للحركة الصهيونية ــ كتنظيم يهودي وحيد ــ للعمل بحرية في ألمانيا ، مما شكل عاملا ضاغطا على يهود ألمانيا ، بالانضمام إليها تخلصا من الاضطهاد النازي وعواقبه على مستقبل حياتهم .

أما الزعيم النازي أدولف هتلر فلم يفته شخصيا مباركة النشاط الصهيوني بعد استلامه قيادة الحكومة الألمانية ، رغم شكوكه خلال السنوات التي سبقت توليه زمام الأمور في ألمانيا ، بصدق نوايا الحركة الصهيونية حيث ادعت أنها تعمل لاقامة دولة يهودية في فلسطين . ويقول في هذا الصدد : إذن لقد كان هؤلاء الصهاينة هم الذين أعلنوا عن رغبتهم بتنظيف ألمانيا من يهودها . وبما أن هذا الهدف يحتل المرتبة الأولى من أولوية السياسة الداخلية الألمانية تجاه اليهود ، فلا غرابة إذا غيّر هتلر رأيه بعد تسلمه السلطة وتعاون مع الحركة الصهيونية من أجل تحقيق هذا الهدف (Yahya, 1978: 17) .

ومن هنا نستطيع فهم خلفية الارتفاع المفاجيء لاعداد نسخ الصحيفة الرسمية « دي يودش رند شاو » Die jüdische Rundschau الناطقة بلسان حال الحركة الصهيونية في ألمانيا ، من ٥ــ٧ آلاف نسخة في الأشهر الأولى لتولي هتلر قيادة الحكومة الألمانية ، إلى ما يقارب ٤٠ ألف نسخة بعيد ذلك . ونستطيع تفسير اللغز بجمع المبالغ الطائلة من قبل The Fundraising Organization (أحد أجهزة الحركة الصهيونية ، الذي عني بجمع التبرعات لها من اليهود الألمان) والتي تضاعفت ثلاث مرات ، في عام ١٩٣٥ ، عما تم جمعه في عام ١٩٣١/١٩٣٢ من يهود أصبحوا أكثر فقرا بعد تسلم هتلر والحزب النازي قيادة ألمانيا (Yahya, 1978: 17) .

لم تقتصر الحركة الصهيونية في استثمار ملاحقة النازيين لليهود غير الصهاينة من أجل تقوية دعائمها في ألمانيا بهدف قيادتها لليهود هناك ، وتهجير اليهود إلى فلسطين فحسب ، بل انطلقت لتنسج علاقات سرية مع أركان الحزب النازي ، ومن ضمنها تلك الدعوة التي وجهتها قيادة الهاغانا ــ نواة جيش الدفاع الاسرائيلي آنذاك ــ إلى كارل أدولف ايخمان Carl A. Eichmann أحد أبرز قادة فرق العاصفة النازية التي عرفت باسم SS اى Schutz Staffeln في ٧ مايو ١٩٣٧ لزيارة فلسطين (Kempner: 38-40) .

ولقد حاول بعض المؤرخين المتعاطفين مع الصهاينة التقليل من أهمية هذه الزيارة ، خاصة بعد أن

استطاعت الموساد (المخابرات الاسرائيلية) اختطافه في مطلع الستينات من هذا القرن في الأرجنتين ــ حيث كان متخفيا هناك ــ وحاكمته في اسرائيل وافتضح أمر علاقته السرية مع الحركة الصهيونية .

لذا نشط المؤرخون ــ بعد سماع أقواله أثناء المحاكمة وإعلانه عن زيارته السرية هذه بدعوة من الهاغانا في صيف ١٩٣٧ ــ بالبحث عن الوثائق الداعمة لذلك . وفعلا استطاعوا اكتشاف التقرير السري الذي قدمه بعد عودته من هذه الزيارة ، والمؤرخ في ٤ نوفمبر ١٩٣٧ .

يبلغ حجم هذا التقرير السري قرابة ١٢٠ صفحة مطبوعة ، أجمل فيه القائمون عليه وهم : Carl A. Eichmann: سابق الذكر ، Scharf-o-St إضافة إلى Hagen ــ الذي عمل ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، كرئيس لاحدى بلديات ألمانيا الصغرى (وتقع في منطقة غرب ألمانيا الاتحادية حاليا) إلى أن أطيح به قبل بضعة أعوام ، لاكتشاف أمر علاقته السابقة بالحركة النازية وحكم عليه بالسجن لمدة طويلة .

ويشمل التقرير تقييما للأوضاع السائدة في فلسطين بعد محادثات مطولة مع فولكس Folkes ــ العميل اليهودي ــ تناولت جميع المواضيع سواء كانت نظرة القيادة الصهيونية للمذابح التي يقوم بها النازيون ضد اليهود ، أم نظرتهم إلى مستقبل فلسطين إضافة إلى العلاقات الثنائية بين ألمانيا النازية والحركة الصهيونية ، ومواضيع أخرى . وأهم ما يلفت النظر في هذا التقرير هو نظرة من أسماهم التقرير بالقوميين اليهود (أي الصهاينة) إلى الاضطهاد الذي يتعرض له إخوانهم في ألمانيا : « إذ بدوا مرتاحين ، لأن ذلك سيؤدي إلى ازدياد كبير في عدد المهاجرين إلى فلسطين ، بحيث يستطيعون أن يشكلوا ... على المدى القريب أغلبية عددية في فلسطين »[٧] .

لقد جاءت زيارة إيخمان تتويجا للتوجه الجديد في سياسة الحكومة النازية وعلاقاتها مع الحركة الصهيونية . ففي أبريل/ نيسان من عام ١٩٣٧ ، أي قبل تلبية إيخمان دعوة الهاغانا لزيارة فلسطين بوقت قصير ، اتخذت الحكومة النازية خطوة خاصة لارسال المهاجرين اليهود إلى فلسطين . فقد أوضحت ــ أي الحكومة النازية ــ « أن التهجير الممكن هو عن طريق الصهيونية ، لأن المهاجرين إلى دول أوروبا يؤسسون مراكز مقاومة (لنا هناك ... ن.ع) » (Kempner, 40) .

وأكد الجانب الألماني أيضا على أن المهاجرين اليهود يستطيعون في أي بقعة من العالم ، وخاصة في التجارة الدولية ، أن يلحقوا بنا أضرارا اقتصادية ، دعائية وصحفية أكثر بكثير (مما يستطيعون ن.ع) في فلسطين »[٨] .

وتعود أسباب هذا التوجه إلى تطور الأوضاع على الساحة الفلسطينية ، حيث اشتدت حركة المقاومة العربية الفلسطينية ضد سياسة الانتداب البريطاني الموالية للحركة الصهيونية ونتيجة للأعداد الهائلة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين . كل ذلك أدى إلى حملة عنيفة ضد اليهود وحلفائهم الانجليز . فإضافة إلى القمع الذي جوبهت به حركة المقاومة الفلسطينية من قبل السلطات الانجليزية

فقد اتهمت أيضا بتعاطفها مع النازية . وهنا وقفت الحركة الوطنية الفلسطينية تدافع عن نفسها موضحة أن لا علاقة لها بالحركة النازية ، بل إنها تعاديها وخاصة سياستها المعادية للحق العربي والفلسطيني المتمثلة بتهجير اليهود إلى فلسطين .

وتؤكد صحيفة العرب ــ لسان حال حزب الاستقلال العربي في فلسطين ذي الجذور القومية العربية ــ على هذه الحقيقة بقولها : « لم يبق من الحكمة أبدا أن نظل مقتصرين في موقفنا من حركة اليهود الألمان بعد تولي هتلر زمام الحكم .... على التلذذ بسماعه هذه الأنباء وقراءتها وإنزال الشماتة باليهود ... فإذا كان هتلر يرى أن خلاص وطنه لا يتم إلا بتطهيره من اليهود ، فهل وقفنا ساعة نتساءل : وأين تلتقي هذه الأدران بعد اقتطاعها وبترها ... وهل نفكر فيما يصيبنا من شر وأذى ناتجين عن حركة اليهود هذه .... »[٩] .

وفي معرض الرد على اتهام اليهود للحركة الوطنية الفلسطينية بتعاطفها مع النازي ، والذي يؤكد التباين في المواقف بين حركة التحرر العربي والحكم النازي ، كتبت صحيفة فلسطين في ٧ يونيو/ حزيران ١٩٣٤ تقول : « تتهم الصحف اليهودية بعض صحفنا الوطنية بالتأثر بالفكرة النازية والدعاية لها في فلسطين ... وقد عقدت جريدة (عيبون ميو حاد) مقالا رئيسيا في هذا الشأن ، نقلت فيه شيئا مما تنشره زميلتنا الدفاع عن النازية ومبادئها ودعايتها .... وبديهي أن قلق اليهود وحلفائهم من الانجليز من مزاعم الحركة الصهيونية في فلسطين سببه خشيتهم المصطنعة من ظهور حركة ضد اليهود في البلاد . والحقيقة أن كل هذا القلق ، الذي يبدو من حلفائهم الانجليز بسبب ما يزعمونه من وجود حركة نازية في البلاد ، لتثير أبناءها ضد الصهيونية وأطماعها في البلاد العربية ، فهذا النفور موجود ومتأصل في النفوس قبل أن تخلق النازية بسنين عدة ... فكلما ثار العرب للاحتجاج أو لرفض بلية من بلايا الصهيونية ... قال اليهود وأمن الانجليز على أقوالهم ... وبعد ... فما الذي يبيح لليهود أن ينعتوا على العرب ظهور حركة نازية بينهم . أكان العرب هم الذين يطردون اليهود من أراضيهم ؟ أم أن اليهود هم الذين يطاردون العرب في عقر دارهم ، ويلاحقونهم في المطاردة ، إلى حد حرمانهم من أبسط حقوق الناس في الحياة ؟ وهل العرب هم الذين يستعينون على تلك المطاردة بأسلحة أقوى دولة عرفها التاريخ ، أم اليهود الذين يفعلون هذا ؟ ... »[١٠] .

أما صحيفة « الجامعة العربية » ، فقد كتبت في ١٥ يوليو/ تموز ١٩٣٥ : « لم ينس القراء بعد الضجة التي ثارت حول إشاعة بيع مدرسة دار الأيتام السورية (شنلر) في القدس والمؤسسات والأراضي التابعة لها لليهود ... واليوم تسمع خبرا أشد خطورة من خبر الأمس ، وهو مع سابقة ، ثم مع الارساليات ، بأن المهاجرين الذين تبعث بهم ألمانيا إلى هذه البلاد ، ومع العطف الذي تبديه الصحف الألمانية تجاه الحركة الصهيونية في فلسطين ... فهي لن تتورع عن أن تضطهد بهم باقي الشعوب الأخرى ، وان تسلم بتهويد الأرض المقدسة ... »[١١] .

فأمام هذه الشواهد التي تنم عن الضجر من السياسة الألمانية تجاه فلسطين ، إضافة إلى رغبة

بريطانيا نتيجة لتقرير لجنة التحقيق الملكية/ بيل ، بتقسيم فلسطين ، طالب مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني القنصل الألماني (Dohle) في القدس أن تتخذ حكومته موقفا واضحا من ذلك ، وبنفس الطريقة طالب توفيق السويدي وزير خارجية العراق آنذاك ، (Fritz Grobba) بأن تعلن حكومته عن موقفها من القضية الفلسطينية .(١٢) .

مقابل ما قدمه النازي للحركة الصهيونية كما رأينا ، وقفت الحركة الصهيونية ـــ عمليا ـــ لتشل أي توجه يهودي لمقاطعة الحكومة النازية . فحين أعلن يهود أمريكا مقاطعة البضائع الألمانية ردا على ملاحقة ألمانيا لليهود ، أعلنت الحركة الصهيونية رسميا في نهاية المؤتمر الصهيوني الثامن عشر ، الذي عقد في براغ ، بتاريخ ٢١ أغسطس/ آب ١٩٣٣ : « ان هذا القرار ليس صهيونيا ، وليس له علاقة بالصهيونية » . واتخذ الصهاينة نفس الموقف في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر الذي عقد في الفترة ما بين ٢٠ أغسطس/ آب إلى ٣ سبتمبر/ أيلول عام ١٩٣٥(١٣) .

وبعد انتهاء أزمة ميونخ في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٣٨ سافر وفد صهيوني يتألف من ممثلين عن (الموساد) برئاسة بينوغيتسبورغ Bino Gietsburg وموشي افرباخ M. Averbach من فلسطين إلى ألمانيا لتحسين التنسيق في مجال تهجير اليهود الألمان إلى فلسطين (Yahya, 1978: 72) .

أما اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ فقد دفع بجودة العلاقات الصهيونية النازية خطوات كبيرة إلى الوراء . فعلى صعيد المهاجرة اليهودية ، حددت بريطانيا اعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين من خلال سياسة الكتاب الأبيض الذي رفضته الحركة الصهيونية وقاومته بالسلاح . إضافة إلى ذلك ، فقد حجمت بريطانيا آفاق التعاون بين الحركة الصهيونية والحكومة النازية ، بعد أن دخلت في حرب معها . ولا أدل على ذلك من إقدام بريطانيا في ١٢ سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٣٩ على تأميم الممتلكات الألمانية في فلسطين ، إضافة إلى سيطرتها على رقم حساب الهافارا في يافا باعتبارها أملاك عدو(١٤) .

ومن هنا فقد ضاقت أواصر التعاون بين الحركة النازية والصهيونية ؛ وتوجهت الحركة الصهيونية إلى أمريكا ، بعد أن كاد استغلالها للانتداب البريطاني على فلسطين ينتهي نتيجة لتغيير توجه السياسة البريطانية تجاه اليهود ـــ كما سبق أن ذكرنا ـــ ولم تستطع الحركة الصهيونية الاستفادة من المطاردة والاعتقال النازي لليهود في جميع بلدان أوروبا التي احتلها النازيون خلال الحرب العالمية الثانية ـــ بالقدر الذي كانت تأمل فيه ، وذلك عن طريق فتح أبواب فلسطين لهؤلاء اليهود . وعلى الرغم من ذلك بقيت خيوط العلاقات الصهيونية النازية موجودة . ويؤكد ذلك ، الاتفاق الذي تم عقده بين الدكتور رودولف كاستنر Rudulf Kasstner الذي كان رئيس جمعية مساعدة اليهود التابعة للحركة الصهيونية في بودابست عام ١٩٤٤ وبين Carl A. Eichmann المسؤول عن معسكرات الاعتقال النازية آنذاك ، والذي سبق ذكره ، حول تحرير المعتقلين اليهود في هذه المعسكرات شريطة هجرتهم إلى فلسطين (Fleischenfeld: 72) .

وأخيرا يذكر بيكالكفيش Piekalkeewicz المختص بكتابة تاريخ دور أجهزة المخابرات السرية خلال الحرب العالمية الثانية ، أنه ليس من المستبعد أن يكون موسوليني إيطاليا وهتلر ألمانيا قد دربا ـــ عسكريا ـــ مهاجرين يهودا أيضا ، من أجل التكيف مع الحياة في فلسطين قبل هجرتهم إليها . (Piekalkiewicz: 63-69)

الهوامـش :

١) يعتبر Axel Springer « اكسل سبرنغر » من أشهر الصحفيين الألمان ، وتمتاز مؤسسته الصحفية بالسيطرة على ما قرابة ٨٠٪ من مجموع صحافة ألمانيا الاتحادية حتى الآن . ولا يخفى Springer تعاطفه بل ودعمه المادي والصحفي للحركة الصهيونية واسرائيل الحالية .

٢) مثل : الطائفة اليهودية في برلين : Die Jüdische Gemeinde/Berlin

اتحاد الوطنيين الاشتراكيين اليهود : Verband der national- sozialistischen Juden

عصبة الرايخ لجنود الجبهة من اليهود : Reichsbund Jüdischer Frontsoldaten

وهم أولئك المحاربون من اليهود في الجيش الألماني ، والذين اشتركوا بالحرب العالمية الأولى .

انظر مثلا : مركز الوثائق الاتحادي ـــ كوبلنز :

Bundesarchiv-Koblenz, Akt. Nr. R43II.

٣) قارن : Reitlinger, Gerald: Die Endlosung. Ausrottung der Juden Europas 1939-1945, s.12.

٤) حول معاهدة الهافارا انظر :

Fleischenfeld, Werner: Das Haavara-Transfer nach Palastina und Einwanderung deutscher Juden 1933-1939, Tubingen 1972.

٥) نسبة إلى إحدى المدن الألمانية والمعروفة بنورمبيرغ Nürenberg حددت هذه القوانين سلوك وتعامل اليهود كونهم ساميين ، الألمان ـــ الآريين ، فمنعت التزاوج بين اليهود والألمان مثلا انظر :

Deutscher Bundestag (Hrsg.): Fragen an die deutsche Geschichte, Bonn 1977, s.377-381.

٦) يعني بذلك الألمان من أصل غير يهودي ، والذين اختلطت دماؤهم بدماء يهودية من خلال التزاوج .

٧) أنظر التقرير : في معهد الوثائق الاتحادي/ كوبلنز ، في ملف :

Sicherheitsdienst des RFSS, SD-Haptmann, Palästinareisebericht, Sachakten II 112,26-3.

تحت عنوان : Bericht uber die Palästinareise von SS- Haptscharf. Eichmann und St-o'Scharf. Hagen, S.41.

بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٧م .

٨) انظر : وثائق وزارة الخارجية الألمانية/ المنشورة :

Akten zur deutschen Auswartigenpolitik, Bd.V.s.660.

٩) انظر : صحيفة العرب ـــ بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٣٣ تحت عنوان : « أيها العرب والمسلمون ! هتلر واليهود وفلسطين والعالم العربي والاسلامي » .

١٠) انظر صحيفة فلسطين بتاريخ ٧ يونيو/ حزيران عام ١٩٣٤ تحت عنوان : « فلسطين النازية » .

١١) انظر صحيفة الجامعة العربية بتاريخ ١٥ تموز ١٩٣٥ تحت عنوان : « ألمانيا وتهويد الأرض المقدسة ! »

١٢) انظر وثائق وزارة الخارجية الألمانية المنشورة :

Akten zur deutschen Auswärtigen Politik, Bd.V,Dok.Nr.

83-21 A25/5/ (g.Rs.) (2269).

١٣) انظر وثائق وزارة الخارجية الألمانية السابقة .

١٤) انظر شئون فلسطينية ، عدد ٣١ لعام ١٩٧٥ ، ص ٩٥ــ٩٦ .

المراجـــع الأجنبيـــة :

- Al-Abbasi, Nezam: **Das politische Interesse Deutschlands an der arabischen Welt 1933-1945** M.A. - Arbeit, Freiburg: 1979.
- Biss, Andreas: Der Stopp der Endlösung
- Fleischenfeld, Werner. **Das Haavara-Transfer nach Palästina und Einwanderung deutscher Juden 1933-1939.** Tubingen: 1972.
- Goldmann, Nahum: **Ein Leben für Israel,** Bd. II.
- Kempner, Robert M.W. : Eichmann und Komplizen.
- Öhquist, Johannes **Das Reich des Fuhrers,** 2. Auflage, Bonn 1941.
- Piekalkiewicz. Janusz: Israel Langer arm,
- Reitlinger, Gerald. **Die Endlosung: Ausrottung der Juden Europas 1939-1945.**
- Yahya, Faris **Zionist Relation with Nazi-Germany. Beirut: 1978.**
- **Zenter, Christian** **Adolf Hitler: Sonder Dokumentation.** Munchen: 1977.

نظام العباسي * :

* حصل على الدكتوراه من جامعة ألبرت لودفغ/ جمهورية ألمانيا الاتحادية .

* أستاذ مساعد للتاريخ الحديث والمعاصر بدائرة العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة اليرموك ــ الأردن .